

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

## لبنان

### الشعر . . والحضارة العربية !

\*

تثير في هذه الاونة بعض الحلقات الادبية في بيروت قضية الجنور الحضارية والاطار الحضاري للادب العربي الحديث . وترى النخبة المخلصة من الادباء انها تعترف بواقع قائم وتؤكد مايجب ان يكون حين تقرر ان الادب العربي الحديث يصدر من محاولة جريئة واعية فسي تطوير العناصر الحية من تراثنا القديم وتمثل الادب العربي في تراثه المتكامل ثم والافادة من مذهب وفنونه افادة لا تؤذي اصالة ادبنا ونفردة، بل تغنيه وتسمغه في استكمال ادوات التعبير من تجربة الانسان المعقدة في هذا العصر ، وهي لذلك لا تغفل عن الفارق الحضاري بين المجتمع الاوروبي الذي استقرت فيه الحياة والمجتمع العربي الذي ما برح فسي ثورة لم تحقق بعد جميع اهدافها ، ومن البيديهي ان يختلف ادب الاستقرار جوهرًا عن ادب الثورة في الشكل والمضمون ، ومن ثم كانت اصالة الادب العربي نائسة عن انغماسه ومعاناته لواقع الحياة العربية الحاضرة ونفاذه عبرها ، في محاولاته الناجحة الى القضايا الانسانية العامة الدائمة وليست المذاهب الادبية ، في رأي هذه الفئة ، نظريات مجردة مطلقة ، بل هي حلول عملية ايجابية لما يعيق تطور الحياة والفن في عصر ما من العصور . وانها لتستهدي بهذا المبدأ ، حين تعرض ليحت طبيعة الاسلوب والمضمون والشكل والصلة الحتمية التي يجب ان تقوم بينها .

غير ان في لبنان فئة اخرى تدور في حلقة من الانزعاج والاضطراب حين تعرض الجنور الحضارية والاطار الحضاري . والسبب هو افتقار موقفها الحضاري الى مستند من واقع التاريخ والادب . ويعود هذا الموقف الى دعوة هجينة ثارت حينما في ظل الانتداب ثم خمدت سريعا ، ومؤداها ان لبنان من امم البحر المتوسط وان حضارته جزء من حضارتها، اما الحضارة العربية فتقع خارج هذا الاطار ، وربما لم يعترف اصحاب هذه الدعوة بوجود حضارة عربية ، وعدوا العروبة مرادفة للجهل وللصحراء والبدو . ولاغراض لايمكن ان تكون خالصة لوجه الادب تبعت هذه الدعوة من جديد ويقوم على نشرها فئة تحاول ان تدعي انها وحدها تمثل « الشعر الحديث » وما ذلك الا لانها تنتكر للتراث العربي وللحياة العربية الحاضرة ، وهذا وحده ، في رأيها ، يضمها في مجرى الحضارة الغربية . وترى في شعر هذه الفئة شتما صفيقا للحضارة العربية وتحسرا على اندثار مقام قلبها في الشرق العربي من حضارات . وقد بلغت الصفاقة والرعونة باحد افرادها ان قال « اني ابول علسي هذه الحضارة - الحضارة العربية » . ومن الغريب انه ليس بين افراد هذه الفئة من عرف اوربا معرفة صميمة ، معرفة من عاش في جامعاتها وارناد مسارحها ومتاحفها وعانى حياتها في مستوياتها المختلفة .

وعندما يتمتع بعض الشعراء القوميين العرب الذين يسهمون في مجلة هذه الفئة ، يكون جوابها اتنا عملا بحريه الفكر ننشر ماهو ضد العروبة كما ننشر ماهو معها ، وهنا تتفاوت النسبة ويفتو القليل من الشعر العروبي الذي يسمح به في المجلة فنانا يستر دعوتهم المفرضة والجهانية على القضية العربية . ولكن هذه الخدعة ما برحت ان انكشفت لاذلب الشعراء العروبيين فانقطعوا عن المجلة .

ويقوم حول هذه الفئة في لبنان حصار من المقاومة والاستخفاف والتهكم يضيق عليها يوما بعد يوم ، بالرغم مما تبذله من خدمات مجانية للسيطرة على الصفحات الادبية في الصحف .

ولو كان غرض هذه الفئة الاخلاص في البحث لادركت ان العرب قد حملوا الحضارة المتوسطية قرونا طويلا فتمثلوها وكيفوا اسسها ثم انطلقوا منها الى الابداع الذاتي الاصيل ، وان العرب تسلم هذه الحضارة من العرب في اواخر القرون الوسطى واولائل النهضة الحديثة . ان المفرضين وحدهم ينكرون ما للعلم الحديث والفلسفة الحديثة والادب الحديث من جذور في الحضارة العربية القديمة . ففي هذا الموضوع ركاز من المؤلفات مبنولة لمن يريد ان يطلع ويفهم .

ومن اسباب اضطراب هذه الفئة وانزعاجها في تحديد موقفها الحضاري انه ليس للبنان حضارة خاصة وليس للبنان ادب خاص سوى ما تأسر اللبنانيين الذين وقفوا جهودهم على بعت التراث العربي وتطويره والافادة اليه بما ينسجم مع عقيدة شعبيه .

ان « الادب » تكنفي الان بعض هذه القضية دون ذكر اسماء ، او تحديد جهات ، وهي تورد هنا ما ادلى به الدكتور خليل حاوي الى جريدة « لسان الحال » البيروتية حين طرحت عليه بعض الاسئلة المتعلقة بهذا الموضوع :

س - يعتقد البعض ان الشعر في لبنان وفي حقبة ما بين الحربين قد شق افاقا جديدة ، فما رأيك في ذلك ؟

ج - ارى ان الشعر في لبنان ، وفي هذه الحقبة بالذات ، لم يكشف جديدا ولم يات بخلق اصيل ، بل كان هائما ضائعا يتوكأ حينما على القديم الجامد وحينما على القريب المجلوب . فانك تلمح وراء كل قصيدة شبن شاعر غربي حديث او عربي قديم . والشاعر الاصيل يضرب جذورا عميقة في حضارته وفي الحضارة العالمية ، يمتس الغذاء الصالح فيجمله الى مادة ذاتية . والافاة الكبرى التي ضربت شعراء تلك الحقبة تعود الى اخذهم باللغة العربية اداة مجردة للتعبير ، وتكرههم لها من حيث هي لغة تحمل حضارة خاصة . ومن ثم كان ان جرفتهم الحضارة الغربية وامتنعهم الادب الغربي ومسح معالم شخصيتهم . ومع ذلك فان اقتنائهم بالادب الغربي لم يدفهم الى التعوق في خصائصه الجوهرية واستيعاب تراثه المتكامل الرقيق ، وانما وقفوا منه عند طوره الاخير وظواهره المرصية . فانت تسمع اصدا غامضة وترى صورا مشوهة للمذاهب الغربية في شعرهم . كذلك كان شأنهم حيال الشعر العربي الذي لم يتممقوه ، فوقفوا ضحية لما فيه من تقاليد ليست من صميم الفن الاصيل . وقد وقفوا في اللغة عند العصر المباسي فكان الطلاق بين الاسلوب والمضمون في شعرهم . تعبير مفرق في البعد عن لغة الحياة في هذا العصر ، ومضمون مستحدث استلموه جاهزا من مصادر اجنبية . لهذا كله جاء شعرهم غريبا عن واقفنا ، وكان في الوقت نفسه تنوعا بسيطا في سياق الشعر العربي . ف شعر سعيد عقل - مثلا - لا يعدو الاسلوب التقليدي الذي يستهدف صياغة المعاني الذهنية والفكر المجردة صياغة زخرف وتجميل . اما البيت عنده فما يزال وحدة الشعر ، والبناء في القصيدة ما يزال هندسية لفظية ، وقوالب براقة جامدة نفتقد فيها نشاط الحيوية التوهجة ، ونفتقد من تجارب الانسان كل ما لا يحشر في قوالب الهندسة . فكان ان ظلت مسألة التجديد ، بعد الحرب الثانية ، كما كانت من قبل ، محاولة يجب ان تستهدف تحطيم البناء القديم . وكسر العبارة التقليدية ورداها الى الواقع ، وهمد السور القائم بين الشعر والحياة ، والتعبير عن تجربة الانسان في واقع بلادنا وعصرنا ، نسيم النفاذ عبر ذلك الى تجربة الانسان في كل عصر .

س - والشعر في لبنان بعد الحرب العالمية الثانية ، وهذه الضجة حول القصيدة المنثورة ؟

ج - اود ان اتحدث اولا عن ثقافة الشعراء ثم اردف الكلام على نتاجهم الشعري . وابرز مايلفت النظر في ثقافة الشعراء الجدد ، او الذين حاولوا ان يتجددوا ، ان تلك الافات التي ضربت ثقافة سابقهم قدامت

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

قراءة خمس سنوات بين ١٩٥٥ و ١٩٥٩ .

ثم يعني اخيرا ان الوظائف العامة في لبنان تسير في هذا الخط ، وهو ان تكون بين ايدي اشخاص لا يخطبون ولا يؤلفون ولا ينشرون ( في جميع الشؤون ) مع انها ينبغي ان تكون في ايدي نخبة المواطنين . وربما كان للمشترع اللبناني بعض الحق في الحظر على الموظفين الاستفسال بالشؤون السياسية والحزبية ، فهذه من عاداتها ان تسيء حتى للاديب نفسه ، ولكن أي حق يدافع عنه هذا القانون . حين يشمل الحظر الشؤون الادبية والثقافية ، ويضع في طريق البحث فيها من قبل الموظفين عقبة ( الاذن الكتابي ) ، وما تجره وراءها من عرفلات للانتاج الادبي يصعب حصرها .

هذه الاعتبارات حثت بجمعية اصدقاء الكتاب ، ونفر من اهل الفكر ، ورجال الثقافة في لبنان ، على اعادة النظر في هذا التشريع السيء لسيء للبنان بوصفه منبر الحرية في الشرق ، ومنار الثقافة ، وتفسيره او تعديله بما هو اقرب الى روح العدالة ، وأرسخ قديما في سبيل الديمقراطية الصحيحة .

وانا لنامل ان يلاقي اصدقاء الكتاب واهل الفكر ورجال الثقافة ، اذنا صافية لدى المسؤولين اللبنانيين ، والمشرعين ، في وقت قريب .

## الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الجنوبي

## مدرستان نقديتان

ارسل الاداب محيي الدين محمد

★

تاريخنا النقدي القديم زاخر بالمجهودات الفكرية الذاتية والمستمددة من اليونان ، و زاخر بالمؤلفات المتعددة عن النظريات الشعرية ، و زاخر بالاسماء الكبيرة التي ارسيت قواعد القوالب الفنية للقبيدة ، من مثل ابي تمام وابن المعتز وقدامة وابن قتيبة والامدي وابي هلال العسكري والجرجاني وغيرهم . انه تاريخ ضخم وغني و زاخر ، ولكنه ناقص ايضا بقدر ماهو كذلك ، فالواضح ان التاريخ العربي القديم لم يعرف من الفنون الادبية سوى الشعر ، مما دعا الى ان يلتزم النقد ايضا هذا المسار - والنقد القديم كان تسليقا ، بمعنى انه يعتمد اعتمادا كلياً على الابداع - فعورضت النظريات الشعرية بالنظريات ، وقارعت الحجة اختها ، وناقش النقاد بعضهم على اساس من التائرية احيانا ، وعلى اساس من المنطق والعقل والعلم احيانا اخرى ، ولكن كل هذه المؤلفات ، وكل المناقشات ، وكل النظريات كانت خاصة بالشعر العربي وحسب ، وامتلا التاريخ العربي بهذه الابحاث الى درجة ان الناقد الحديث ، يتجه تلقائيا الى رصد دواوين الشعر ، والكتابة عن الشعراء والقصائد الجديدة ، لانه مخدوم بخلفية نقدية هائلة ، وهو لا يحتاج الى استعارة التاريخ الثقافي من الغرب ، لان تاريخه زخم ومليء ، اما حين يتجه الناقد الحديث - وهو يتجه احيانا - الى رواية عربية حديثة ، فهناك البلبلة ، والتائرية ، والمبول ، والاهواء ، واستعارة النظريات الغربية بكاملها لتطبيقها على العمل الادبي مما يعطي لاحكامه صفة القرابة احيانا ، والارهابية احيانا اخرى . ونادرا ما ينجح ناقد القصة او الرواية في رصد العمل بالدقة التي يباشر بها ناقد الشعر اعباءه ..

الى ثقافتهم وشاعت فيها على مجال اوسع وارهب . فانهم - باستثناء القلة منهم - يكتبون بلفة لا يحفلون بها ، ولشعب انفصلوا بهمومهم عن همومهم ، ويلتصقون من الخارج بحضارته التي يجهلون بها . وهم في الوقت نفسه يدوبون صبوة الى الحضارة الغربية التي يزيد جهلهم بها عن جهلهم بالحضارة العربية . انها صبوة البسيط الساذج لكل منهم مفقد بعيد . ولا عجب ان يلتقطوا الثقافة من مجالات الادب الغربي ، وياخذوا باحدث زي يظهر فيها فلنا منهم ان في ذلك غاية السبق والتجديد . وفاتهم ان التجديد بدون اصالة ذاتية تقليد اعمى . ولا اقسو اذا قلت انهم فريسة لامية في الفكر والفن وليتم حضاري جعلهم عرضة للانطباع بكل وافد غريب . فتراهم لا يخرجون من رحم شاعر اوروبي الا ليدخلوا في رحم شاعر اوروبي . ومن ثم كان نتاجهم معرضا للانفعالات المتلاحقة بالآخرين . فاذا انت تفحصته بدا لك طبقات ملونة ، كل طبقة بلون ، وبدت لك شخصياتهم كأنها « ملفوف » متعدد الالوان . فليس في تطورهم دفع من الداخل وليس فيه نماء طبيعي حتمي . ان نتاجهم لدليل محزن على ان الشعر في لبنان ما يزال منفصلا منسكما وراء الشعر الغربي . وما دام النتاج في غالبية على هذا الهزال فقد انتهى معنى الفارق في الشكل ، سواء اكان الشكل قصيدة مثورة ام شعرا مقفى موزونا .

★

## التشريع اللبناني يعرقل الانتاج الادبي

★

كان قد صدر بتاريخ ٧ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ مرسوم اشتراعي من الحكومة اللبنانية ، يحدد نظام الموظفين ، ويحمل الرقم ١٤ . وكانت المادة ٢١ من هذا المرسوم تنص في فقرتها الخامسة ، انه « يحظر على الموظف ان يمارس مهنة حرة فيما خلا الاحوال المنصوص عليها في القوانين والانظمة الخاصة ، باستثناء التأليف الادبي والفني ، والقاء الدروس في معاهد التعليم العالي ، والمدارس المهنية ، خارج اوقات الدوام الرسمي . »

هذا هو قانون ١٩٥٥ ، وبعد اربع سنوات ونصف صدر بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٥٩ مرسوم اشتراعي اخر ، يحمل الرقم ١١٢ ، تنص الفقرة الاولى من المادة ١٥ فيه ، على مايلي : « يحظر على الموظف ان يقوم باي عمل تمنحه القوانين والانظمة النافذة ولا سيما : ١ - ان يشتغل بالامور السياسية ، او ينضم الى الاحزاب السياسية ، او يحمل اشارة حزب ما ، او يلقى او ينشر بدون اذن كتابي من الرئيس المختص في وزارته ، خطبا او مقالات او تصريحات او مؤلفات في جميع الشؤون » .

وتنص المادة ٧٣ من المرسوم نفسه في فقرتها الاولى بان « يعزل الموظف بقرار من مجلس التأديب اذا اخل اخلافا فادحا باحدى واجباته المسلكية المحددة في القوانين والانظمة النافذة ، ولا سيما في المادتين ١٤ و ١٥ من هذا المرسوم الاشتراعي » . وهذا معناه ان الموظف الادبي ، او الاديب الموظف لا يستطيع ان يمارس موهبته الادبية الا باذن كتابي من رئيسه المختص ، فاذا لم يرض رئيسه ان يكون « ادبيا » ، وان يسجل على نفسه رضاه هذا كتابيا ، كان من واجب الموظف الادبي ، ان يفتن للذوق رئيسه ، وتقديره ، وفهمه الخاص للحياة والمجتمع والكون والطبيعة والناس ، والا تعرض قانونيا لمجلس التأديب ، ومنه للزل ، ويفقد « حقه في التعويض والصرف والتقاعد » عند عزله على هذا النحو ، كما تنص الفقرة الثانية من المادة ٧٣ من هذا المرسوم .

ثم يعني من جهة ثانية ان قضية الحرية الثقافية قد تاخرت في لبنان

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

الذين يعيشون هذه الفترة العصيبة ، قد تربوا تربية فكرية في أوروبا ، في جامعات فرنسا وأمريكا وإنجلترا ، وعادوا من هناك يحملون أفكارا متقدمة للغاية ، ونظريات نقدية عالية المستوى ، بل وغريبة للغاية ، وكانوا يحسبون أن الناقد يمكنه أن يصبح موجها وحسب ، يستطيع بكلمتين أن ينقد الإبداع والمبدعين ، وأن يجعلهم ينتجون أدبا في مضاف الأدب الأوروبي واكمل . ونسي هؤلاء أن النقد العربي ليس تعاليم كنصوص التوراة والإنجيل ، يمكن استخدامها في الأرجنتين ، كما تصلح لكوريا ، ونسوا أيضا أن النقد الأوروبي تعبير حضاري عن الروح الأوروبية ، بكل ما فيها من قيم وأخلاق ومفاهيم ودين وسياسة ورموز وتجارب ... نسوا أن استعارة النقد يمكن أن تحدث اللبلة التي أحدثتها تحويلاتهم غير المنظمة ..

صحيح .. لو أمكن للجنة كبرى أن تقوم بهذه العملية ، أي ترجمة الأعمال النقدية الرئيسية في الغرب ، بتاريخ صدورها ، مع ترجمة النقاد بأكملهم ، وليس مؤلفا من هنا وآخر من هناك ، لو أمكن لمثل هذه اللجنة أن تقوم ، لادت دورا ممتازا في توعية المثقفين ، نقادا ومبدعين ، وذلك لأن ترجمة التراث النقدي في أكثره ، سوف تخلق جوا مشجعا بالفهم والإدراك ، وسوف تصبح المناقشات على مستوى الواضح والمعروف والمفهوم ، وعلى ذلك يصبح اختيار هذا المذهب ، أو غيره ، مبنيا على فحص ومعرفة لعظم المذاهب التي قدمت للجنة ، وترجمت أعمال مفكرها وفلاسفتها .

أما الآن ، فإن البعض عندما ينادي بالنقد الواقعي الاشتراكي مثلا ، لا يضع في اعتباره عري الأرض النقدية عندنا عن جذور هذا المذهب وخطوطه ، وهو - في نداءه - لا يلقى أذنا تسمع ، فما هو النقد الواقعي الاشتراكي ، وهل يصلح أيضا أن ننادي - على هذا الأساس - بنقصد رأسمالي موجه .. أو بنقد كيفما كان اسمه !!

كان النقاد يعودون من أوروبا ، وقد قرأوا أشياء لم يقرأها الآخرون ، ولم يحاولوا حتى أن يستخلصوا الأفكار الرئيسية التي اعتنقوها ، لتصبح امكانية الأفئحة موجودة ..

وكان هناك تيار آخر ، غير تيار القادمين من أوروبا ، وهو تيار أصيل نوعا ، يستند إلى كل ما هو ذاتي في النقد ، ولا يضع اعتبارا لقاعدة أو فلسفة ، عملا بالنص : كل نقد إنما يخفي ذاتية مستورة ..

ولم يقدم هذا التيار أشياء جديدة بالتثوية أو الدراسة .. وهكذا حدث انفصام بين النقد العربي القديم ، وبين هذه الأخطاط الشائخة الحديثة ، بل وحدث تناقض أيضا ، عندما تعارضت النظرية العربية القديمة للشعر ، مع المفهوم الحديث للشعر الأوروبي (1) ، فتخلى الشعراء عن الشكل القديم للقصيد ..

ولم يتمكن الذين كتبوا تاريخ النقد العربي أن يوجدوا أصولا مشتركة يمكن الاستناد إليها في إقامة نقد حديث ، يستوى في ذلك مؤلفات الدكتور محمد مندور ، مثل « النقد المنهجي عند العرب » ، ومؤلفات

أعمالنا الفنية الأخرى كالقصة والرواية والمسرحية ، أشكال تفسيرية جديدة في واقعنا ، لم تأخذ بعد ، الشكل القوي المؤثر الموجودة به في الغرب ، وهي لا بد باللغة هذا التأثير بكثير من الدراسة والإدراك . هذه الأعمال مازالت تعاني من القصور ومن الضعف ، ومن فقدان الاتجاه وفقدان الفنية ، وافقار المعرفة الأساسية كدراسة الأفكار ، والتيارات الفلسفية والدينية والأخلاقية ، وكل ما يسهم بتأمين الذخيرة الإنسانية والأرضية - لا الفنية - بالنسبة للمبدع ، ولم يوجد في الغرب - حتى الآن - ذلك الفنان، روائيا كان أو مسرحيا ، أو رساما ، والذي يتجاهل ثقافة أمته ، وثقافة أوروبا بأكملها ، ويعتمد كل الاعتماد على موهبة مصقولة أو غير مصقولة . لم يوجد هذا الفنان ، وأحسبه لن يوجد ، فالفنان الإبداعي مزيج من الإلهام المتصوف المعاني ، ومن الاحمال الثقافية التي يحيها ، تاريخيا وفنيا عن طريق قراءاته ، وحضاريا بطريق هذا الوعي الجسدي والعصبي بالآخرين وبوطنه وعالمه ..

وليس غريبا بعد ذلك أن يكون كل فنان عربي ، فنانا كبيرا من قيادة الفكر أيضا . فتاريخ الفكر الأوروبي ، هو تاريخ تنحية عزلة الفكر رويدا رويدا ، عزلته السياسية والاقتصادية والعلمية ، والأخلاقية ، إذ كان يكفي الفنان في القديم ، أن يقدم عملا إبداعيا موحيا ، أما في العصور الراهنة ، فالفنان شحنة أعصاب وأفكار ، وأحاسيس ، تفرض فيه أن يكون أكثر وعيا من قرائه ، وأشد خبرات ، ومعرفة ..

من أجل ذلك .. من أجل هذا الحضور المستمر ، نشهد هذا الامتزاج الفني في الرواية الحديثة ، وفي المسرحية ، بالأفكار الفلسفية التي كانت فاصرة على الفلاسفة وحدهم ، بل أن الشعر نفسه يفتني بهذه الأفكار ، ويجوب أفاقا لم يكن يعد بها فيما مضى ..

ولم تكن الفلسفة الوجودية وحدها ، التي نهبت إلى الاهتمام بالمصير الإنساني ، فقد كان الموقف نفسه في أوروبا يحتم على الفنان أن ينقد الإنسان ، وجاءت الفلسفة الوجودية لتعلن عن هذا الموقف ، وتكشفه .. فقد كان الاهتمام بالنسبة للحضارة الأوروبية ، موجها إلى كيفية الاستفادة من الإنسان ، وإلى خير الطرق لامتصاص حيويته ، وعزله عن حريته وتمرداته ، وكان العصر الصناعي يسهم من جهة أخرى بتثيبت الإنسان وتجميده في مطالبه وسعاداته الخصوصية ، وكان ذلك يعني أن البشر يتحولون من مشاريع الهة شديدة الصلابة ، إلى فعلية حيوانات شديدة التفسخ .. وكان الإنسان راضيا ، لأنه لم يعد يثق بأي شيء ، ولم تعد لشيء ما قيمة بعد .. وفي هذه الظروف ، قدمت لأوروبا أعمال فنية من طراز الغريب لألبر كامو، والغثيان، ودروب الحرية لجان بول سارتر، لتسجل هذه المرحلة من تاريخ البطل الأوروبي ، الفاقدهمته . ومنذ هذه اللحظة المتمردة ، حتى الآن ، أمكن للإنسان الأوروبي أن يلاحظ يمكن الاستناد إليها في إقامة نقد حديث ، يستوي في ذلك مؤلفات لأنه لم يعد يقول : هذا موقف أخلاقي ، وأنا لاأبالي بالفلسفة ، أو هذا موقف سياسي ولست سياسيا .. أنه لم يعد يقول ذلك ، لأنه تعلم أن الكون هو ملكه ، طالما هو يعيه .. أن نقطة الانطلاق الفكرية القديمة منذ المسيحية الأولى حتى باسكال وكيركيجورد ، هي ، نقطة الانطلاق الحديثة في أوروبا : أن الإنسان يموت !! . ولكن هذه الفلسفة ، مرتبطة مع الموقف الشامل في أوروبا ، تعطي جوابا مباشرا : .. وعلي أذن، عبء أن أحيا من جديد ..

أعمالنا الفنية في الشرق العربي لم تبلغ هذه الأعماق ، لأن الفنان هنا منفصل عن التاريخ وعن الإنسان ، وكل اهتمامه موجه إلى الفنية ، بل أن كثيرا من الروائيين وكتاب القصة ، يتجاوزون حتى عن هذه المسلمة الأساسية ، ويعتمدون على جهل القارئ ، والمصادفة . والنقاد الكبار

( ١ ) مخطيء من يظن أن حاجة الشاعر العربي فقط إلى التعبير عن أشياء يضيق بها عمود الشعر القديم ، هي التي جعلته يطرح النظرية العربية القديمة في الشعر و ( يكتشف ) الشكل الجديد للقصيد ، إذ أن النقد المرتبط بأوروبا ، والثقافة المرتبطة بأوروبا هي التي عجلت بهذا التطور ، ولا يجب أن ننسى أن الذين طوروا الشعر العربي حقيقة كنتاج والسياب والبياتي ، قرأوا ممتازون للشعر الإنكليزي الحديث ..

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

وليس هناك فنان يجزؤ على عمل ذلك ، الا الفنان البستاني ، فهل لقيام جماعته صلة بتقويم النشء ؟ . ان الفنان يعد بعالم اكثر جمالا وقيمة ، كل فنان يصنع ذلك ، حتى الفنان السريالي الذي يملأ لوحته اصباغا . . وكذلك الروائي والفاصل والدراماتي . . كلهم يفصحون عن هذا التوقع المنتهب ، وهذا النزوع الواعي الى عالم عظيم . .

كل النقاد المحدثين في اوربا على تناقضهم الكامل واختلافهم في وجهات النظر ، والتناقض والادراك - يبدأون من هذه النقطة الواضحة: العمل الفني كيان متحد ومكتمل ، وكل ذرة فيه تحمل كهربين متعادلين هما الفنية والمضمون ، والنظريات النقدية الاوروبية قد انتهت منذ زمن الى قرار بارز هذا الامر الواضح ، واختلاف النقاد هناك رجع الى مشكلات عصرية وهامة ، تدخل فيها اعتبارات الاخلاق في النص الادبي ، ومشاكل الالتزام ، وحرية الكاتب ، والرموز ، والافكار التجريدية ، وهكذا . . .

دلالة هذا الامر واضحة ، وهي ان بعض كبار النقاد عندنا معتكفون ويصدرون احيانا عن ردود الافعال ، والا فما هي القيمة الاساسية لنشوء جماعة النقاد العرب ، اذا لم تكن مناهضة جمعية للنقاد ، ورفض آرائها . . ؟

وهناك ايضا ما هو اخطر من ذلك ، وهو اطلاق الكلام على عواهنه ، بدون الاحساس ، حتى الاحساس البسيط بكرامة الفكر والقراء ، وهل ادل على ذلك من هذه الكلمة التي نشرها الدكتور رشاد رشدي ، وفاتت اهمية الاحتجاج عليها ، من الجماعة الاخرى ، بكل رجالها المثقفين ، وبكل ما نعرف عن بعضهم من ادراك وامتيان ومعرفة ، قال الدكتور رشاد رشدي في جريدة الجمهورية بعنوان ( من اجل هذا قامت جمعية النقاد ) : « الجمال والحقيقة شيء واحد . . » ( ١ ) ان الدكتور يتجاهل الفكر والتاريخ ، وابسط قواعد المناقشة ، ليضع فوق رؤوسنا زهرة وجيلا ، بدون ان يفسر ، او ان يوضح الذي يقصد اليه ، فما هي هذه ( الحقيقة ) التي هي الجمال ؟ . . اهي مسلك اخلاقي ؟ . . اهي حجر الفلاسفة ، ام هي حقيقة خاصة بالدكتور . . ام ماذا ؟ !

وهناك جملة اخرى ، لا نقل عن هذه نفسا وخطا : « اذا جازت هذه الحراسة في اي وقت مضى فهي لا تجوز اطلاقا في هذه الفترة من تاريخ الامة العربية . . لان المجتمع الجديد الذي نعيش فيه له مضمون واحد لا يمكن ان يختلف فيه اثنان ، وهذا المضمون الذي ارسلته الثورة قد اصبح جزءا لا يتجزأ من كياننا القومي وبالتالي في كيان كل فرد منا ، وهو مضمون المجتمع الديمقراطي الاشتراكي التعاوني ، ولذلك فنحن نتفاعل مع هذا المضمون بالطبيعة وبحريسة كاملة . . . »

ماذا تعني هذه الفقرة ؟ واي الوان الكلام هو هذا اللون ؟ انها محاولة - حسب ما افهم - لتبرير الفنية التي يدعو اليها الدكتور رشدي ( انا ابرر المحاولة وافهمها ، ولكنني لا افهم التبرير ولا ادركه ) ، وهي محاولة فقيرة للغاية ، وانشائية للغاية ، اذ انسنا نؤمن بجذوى الثورة وجذوى المجتمع الاشتراكي ، ولكن ، ما هو الرباط هنا ، بين الدعوة الى نقد جديد ، وبين ( المجتمع الاشتراكي الديموقراطي التعاوني ) الذي افهم على الموضوع اقحاما ؟ .

ولكنه اطلاق الكلام على عواهنه ، لغاية خافية ، او لغير ما غاية ! . . ومن جهة اخرى تظل جماعة الدكتور مندور ، جماعة تثير التساؤل حقا . . . ، فهل آمن كل اعضائها فعلا بجذوى النقد المبني على الواقعية الاشتراكية ، هكذا ، في جلسة واحدة ؟ هل آمن الدكتور عبد الفادر

الدكتور محمد غنيمي هلال ، مثل « الدخلى الى النقد الادبي الحديث » فقد كانت كلها مؤلفات لتعريف النقد العربي ، او لتحقيق بعض النصوص الهامة التي قيلت هنا او هناك .

استحالة وصل النقد العربي الحديث بالقديم ، استحالة عجز ، وليست استحالة رفض ، فالمعروف ان مؤرخي النقد في انكلترا او امريكا او فرنسا ، كانوا يهدفون من وراء مؤلفاتهم - لا الى تعريف النقد في بلادهم - بل الى ايجاد نوع من النظرية يستخلصونه من خطوطها الصغيرة في القديم ويبينون تطورها حتى اكتمالها بين يدي المؤرخ . اي ان المؤرخ النقدي يكتب تاريخ النقد لكي يبين منطق النظرية التي يدافع عنها . . من اجل ذلك يكتبون تاريخ النقد في اوربا ، كما هو من اجل ذلك ايضا يكتبون تاريخ الفلسفة هناك ، لا من اجل التعريف او الكشف فقط . . اذن ، هناك حلقة مفقودة ، وثقرة لا بد ان تملأ ، وقد عجز كل من ارخ للنقد العربي ان يستكمل هذه الحلقة ، وان يسد الثغرة ، فظلت هذه المشكلة الاساسية سببا لكافة المشاكل التي تقوم في الوسط الادبي بين النقاد والمبدعين . .

في ظل الفوضى النقدية ، واختلاط الحسابات بالنسابل ، قامت جماعتان نقديتان ، احدهما جماعة ( النقاد العرب ) وتضم الدكتور مندور ، والدكتور لويس عوض ، والدكتور محمد القصاص ، والدكتور محمد غنيمي هلال ، والدكتور عبد القادر اقط ، والدكتور مصطفى ناصيف ، والاساتذة انور المداوي ومحمود شعبان ، وعبد الرحمن فهمي وفؤاد دواره وابراهيم عمارة ، والجماعة الاخرى هي ( جماعة النقاد ) وتضم الدكتور رشاد رشدي وآخرين . . .

الجماعة الاولى تقول بان كلف الدكتور رشاد رشدي بفنية العمل الادبي وحسب ، سوف تسقط نقده في الشكلية والنسج ، وبناء عليه تقوم جماعة النقاد العرب بمسؤولية تصحيح الوضع ، لعدم تجاهل المضمون ايضا ، وقد استندوا في هذه الدعوة الى قول الدكتور رشاد رشدي في تعريف جماعته ( جريدة النساء . الانثيين ١٩٦١/٢ ) : « الفكرة في تكوين جماعة النقاد هي محاولة حراسة الادب الجديد وتشجيعه . . وذلك بتقييم هذا الادب على اسس فنية . وهدفنا يرمي الى ارساء النقد على قواعد سليمة ، قواعد تنظر الى العمل الادبي كوحدة موضوعية لا ينفصل فيها الشكل عن المضمون وتحاول ان ترى العمل الادبي كما هو على حقيقته . . فنحن محتاجون الى اعمال فنية تخدم المجتمع الجديد وتعبر عنه ويجب ان يبدل كتابنا على الاصول الفنية التي تتحكم في اعمالهم الفنية ، والملاحظ ان نقادنا يقتضرون في تقييم الاعمال الفنية على المضمون فقط . والمضمون هو الواقع ، والواقع نحس به جميعا ، ولكن الذي يحيل هذا الواقع الى عمل فني هي عملية الخلق الفني ، فاذا اهملنا الناحية الفنية في العمل الفني لحكمنا عليه بالاعدام . . »

والملاحظ ، عن حق ، ان الجماعتين تصدران عن موقف واحد ، لانعراض فية ، الا الاهتمام بالشكل مرة ، والمضمون مرة اخرى ، هذا الاهتمام الذي هو بدون جدوى طالما ان الطرفين يعترفان بان العمل الفني تكامل بين الشكل والمضمون ، والواقع ان هذه المعركة قديمة كالازل ، ناقشها النقاد في كتاباته الاولى ، وناقشها بعده محمود امين العالم ، وعبد العظيم انيس ، في بيانها القوي ، وانتهى الرأي فيها الى اعتبار العمل الفني جسما حيا ومتفاعلا ، روحا وجسدا ، فنية ومضمونا ، فالعمل الفني كاللوحه الطبيعية الرسومة ، فيها من الواقع اجزاء ، وفيها من وهم الواقع اجزاء ، وفيها من ( المثال ) اجزاء ، ولذلك يظل العمل الفني تمبيرا عن الحياة ، وصقلا لها في الوقت نفسه . .

ان الفنان الواقعي لا ينتقل الواقع حرفيا ، كما يقول الدكتور رشدي ،

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

لغير النقد العربي ، وخر الإبداع أيضا ، طالما ان هناك اتفاقا جنريا بينهما ..

واقترح في النهاية ان تقوم لجنة من الجماعتين بدراسة التخطيط الذي وضعه الدكتوران لويس عوض وعلي الراعي ، والاتفاق مع وزارة الثقافة والارشاد ، لتمويل هذا المشروع الجزيل الفوائد ..

اذ انه من المستحيل ان نفكر في العثور على هذه الحلقة المفقودة في النقد الادبي عندنا ، بدون ان تكون هناك ارضية واسعة وعميقة ومتعددة الاتجاهات ، بتعدد الافكار التي مرت على اوروبا طيلة تاريخها. ان ترجمة التراث النقدي الاوروبي هي حجر الزاوية بالنسبة لنهضة هذا العلم او سقوطه ..

انه مشروع اعرف ضخامته ، ولكنني اعرف ان الامة العربية مرت في القديم بنفس الازمة ، واجتازتها - عندما ترجمت الفكر اليوناني - بروح عالية وثقة شديدة ، واعرف ايضا ان رجلا مثقفين معاصرين فكروا في هذا المشروع واقتنعوا باهميته ، وما زالوا يبدون استعدادهم للعمل على تحقيقه .

محيي الدين محمد

القاهرة

## الواقع الادبي في الاقليم الشمالي

لمراسل الاداب : محيي الدين صبحي

★

نتبنا نظرة عامة الى تاريخ الادب في الاقليم الشمالي ، ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، بان حظ الاقليم سيء فيما يتعلق بامور الادب والادباء . اذ مايكاد ينضج جيل من الكتاب ويبدأ باعطاء ثماره ، حتى تعدو عليه الايام فتلتهمه ، وسرعان مايجف قلمه ويغيب . ففي حوالي العقد الثالث من هذا القرن برزت اسماء كل من الدكاترة والاساتذة : جميل صليبا ، صلاح محابري ، شكري فيصل ، عمر ابو ريشة ، فؤاد الشايب ، شكيب الجابري .. وغيرهم .

وما بين العقد الرابع والخامس ظهر خليل هنداي ، وداد سكاكيني ، شاكرا مصطفى ، عبد السلام العجيلي ، نزار قباني ، الفة الادبي .. وبعد سنة ١٩٥٠ ظهر ادباء الرابطة وبعض الادباء الحزبيين .. لم يبق لهذاه الاسماء ولغيرها ، سوى اصدااء خافتة تظهر بين حين واخر في بعض مناسبات التكريم ثم تختفي .. وهذه خسارة فادحة للفكر والادب .. وهي خسارة افدح في حساب التاريخ الادبي . اذ ان الومض الذي اضاء في كل جيل لم يكن يكفي لانشاء تقاليد ادبية . وبذلك شب كل جيل مقطوعا عما سواه في النظر والمعالجة .

اما الان فان سوريا تعيش على جيل من الادباء الجدد يتكون من ادباء الصالونات ، ومن صحافيين يتدخلون في شؤون الادب ، ومن طلائع ادباء يرتبطون بشبازات الثقافة العالمية ويحاولون ان يكونوا شخصيات ادبية . واذا اردنا التفصيل وبحث المجال الحيوي لكل زمرة من الادباء وجدنا ان ادباء الصالونات يلتقون في سهرات المجتمع البورجوازي ، ويعرضون نتاجهم ضمن اربعة جدران ، وفي جو من الاستحسان العليق ، انهم ادباء بلا قضية . وانتاجهم مجرد كتابات زخرفية باهتة ، بعيدة عن حبر المطابع ، فادبهم شفهي ، وهم لا يبحثون عن قراء بقدر ما يبحثون عن مستمعات .

اما فئة الادباء الذين ينظرون الى الكتابة بعين الجد ، فانهم يصرون

القط ، والاستاذ انور العدوي ، الذي نعرف لهما مواقف تخالف هذا الموقف الراهن ، هل آمننا بهذه النظرية فجأة وبدون مقدمات ؟!

ما هي هذه النظرية النقدية التي تسمى باسم الواقعية الاشتراكية؟ أين اصولها ، واين منطقتها ، واين تسلسلها التاريخي في وطننا ، وما هي طبيعة العلاقة في هذه النظرية بين المجتمع الذي نحيا فيه ، وبين مشكلة استعارة نظرية غربية ؟؟

كل ذلك في عالم الغيب ، وقد اقتنعت به جماعة النقاد العرب والتزمت به ، واذا كانت الجلسة الوحيدة التي جمعت بين النقاد العرب كقيلة ( بنظير ) وجهات نظرهم ، فإين هو حق القاريء في المعرفة ، وحق النقاد الاخرين ، بل اين هو حقهم كنقاد مقتنعين في الكشف والابانة ؟!

ان الواقعية الاشتراكية دعوة لم تتضح لها خطوط ، حتى في وطنها الاصلي ، والمعروف ان عملية القسر الذي تفرضه هذه النظرية في المجالات التطبيقية اعنف بكثير مما يتصور اكثر حمايتها تطرفا ، والامثلة على ذلك كثيرة ، ويكفي ان نشير الى الحركة التي قامت بيد خاشانديريان ، وبين (منظمي) هذه الدعوة ، مما دعا اتباعها الى التقليل من حدتها ، والواقفة على بعض صور الفن المرفوضة سابقا ، كالفن السريالي والرمزي والتجريدي ، بل لقد كانت معظم اللوحات التي عرضها الرسامون السوفييت في (نيويورك آرت جاليري) اكتوبر ١٩٦٠ ، من النوع الذي كانوا يسمونه بالفن الانهزامي والاسود ، وفن الراسمالية المريضة وخلافه ...

لقد اضطرت الواقعية الاشتراكية - في وطنها ذاته - ان تعدل صفوفها ، وان تقوم عوجها ، لانها نظرية تحتل التعسف ، وتحتل الطغيان ، ولا يجب ان ننسى انها ازدهرت وحسب ، في الوقت الذي كان فيه ( جوزيف ستالين ) دكتاتورا عنيفا على روسيا بغنبا واحلامها ورجالها ...

ان اخلاص الجماعتين امر غير مشكوك فيه ، ولكن الاخلاص وحده لا يكفي . واذا كان الفرض هو النهضة بالنقد العربي الحديث ، فلا يجب ان نتوصل الى ذلك باتباع اساليب متأخرة ، فمادبا يجدي الان ، تفرقة النقاد الى متعصبين للشكل ومتعصبين للموضوع ، مادبا يجدي ذلك في ارض خالية تماما من النقد العلمي الاصيل ؟!

لماذا لا يتكاتف النقاد ، ويتعاونون مع دار كبرى للنشر ، لاصدار سلسلة من الكتب النقدية الاساسية ، مع ترجمة كاملة للنقاد الكبار الذين اثروا في الفكر الاوروبي والامريكي (١) ؟ لماذا لا تصدر مجلة خاصة بالنقد الادبي .. لتابعة الافكار الحديثة ، والتيارات النقدية الرئيسية في الغرب ؟ .. لماذا لا تصدر كتب النقد العربية القديمة في طبعات رخيصة لتمكن الاستفادة منها على اوسع نطاق ؟!

هناك مشروعات عديدة لانقاذ النقد الادبي من هذه الفوضى التي يتردد فيها ، والمشروعات محتاجة الى تمويل ، والى اشراف ، ومحتاجة الى امانة السلطة ، وعدم تطلبها للربح .

لقد اعربت الدولة عن تقديرها للمفكرين بهذه الجوائز التي منحها لهم ، بل انها خلقت كيانا للكتاب والمثقفين بهذا التقدير ، واقتراحي هو التضامن مع صوت الناقد الدكتور علي الراعي ، بان تتحد الجهتان

(١) اطلمني الدكتور محمد يوسف نجم على تخطيط في حوزة الدكتورين لويس عوض ، وعلي الراعي يصلح البدء في تنفيذه كمرحلة اولى لترجمة الفكر النقدي في اوروبا . اين هذا المخطط ؟ وما هو مصيره ؟

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

اليها . فالذين ينظرون الى الادب على انه وسيلة للفائدة المادية طلبوا الشهرة والنفوذ الادبي لان الشهرة تجر المال ، اما الذين ينظرون الى الادب على انه غاية تهون في سبيلها كل المنافع فنعوا بالاخلاص-او ببعض الاخلاص - للكلمة التي يكتبونها .. وكاد الادب يفسح تحت سنايبك الفائدة والاخلاص .

والقارئ لصحف دمشق يقع تحت سيل من الشتائم والاتهامات يتبادلها الجميع دون استثناء متناسين ان الادب الشاب هو الادب الذي يجعل من الحياة دينا وعبادة ، يدعو الى مصارعة الحياة ويعرض مأساويتها ، ويدعو في الوقت نفسه الى الوقوف في وجه اللامعنى الذي تحمله الحياة، ويجعل من نضال الانسان معناها . وادب الشباب هو الادب الذي يرفض التقاليد القديمة ويتمرّد على المواضع الاجتماعية ويهدم صروح القرون الخالية . وادب الشباب هو الادب الذي يثور في سبيل تطور نحو الافضل ويدعو الى شروط للحياة اكثر انسانية ، ويساهم في بناء قيم اكثر تالؤما مع روح العصر وتراثه . والاديب الشاب هو الذي يصدر عن كل ذلك .. يرتبط بالتراث ويثور عليه . يتلمذ منه ثم يقف وحده متحديا تراثه ومجتمعه ، مكافحا مناصلا في سبيل محو قيم وفرض قيم . والاديب الشاب يلد وفي بدء كتاباته ثورة ، ثم ينمو وتوضح معالم هذه الثورة ، وتتركز تلك القيم الجديدة حتى يستوي في ذهنه مفهوم جديد لانسان جديد .

اذا نظرنا الى ماكتب ، على ضوء هذه المفهومات ، اعتقد اننا سوف نقع في أزمة . وسوف نظل نسال : أين الادباء الشباب ؟ انهم قلبه . والمهارات التي تجري لن تفعل شيئا اكثر من ان تثير القرف في نفس القارئ .. القرف من الادب والادباء . وما دام هذا هو الواقع الادبي فليس لنا ان نأمل كثيرا من الاقلام التي تطرح نفسها في السوق . وليس لنا الا انتظار فلتات فردية من بعض الاقلام . اما الحماسة لجبل كامل، فانها تؤدي بنا الى الخيبة ؟ ذلك ان هذا الجيل متاكل ولا يبشر بخير كثير ..

## السودان

### محاضرة عن الادب السوداني

من مراسل « الاداب » حامد محمود وافي

✱

دعت مدرسة المؤتمر الثانوية الاستاذ الكبير « حسن نجيله » الى لقاء محاضرة عن الادب السوداني منذ ربع قرن . والاستاذ نجيله من طلائع الخريجين ، ومن جيل المثقفين السودانيين، الذين اسهموا في صنع تاريخ بلادنا ، وقامت على اكتافهم نهضتنا الادبية .. ولم يترك الاستاذ نجيله تلك الفترة التاريخية تمر دون ان يكون لها اوفر نصيب في المكتبة السودانية ، فاصدر كتابه « ملامح من المجتمع السوداني » الذي عني فيه بتسجيل الحوادث التي كانت تؤثر في نفوس وتوجيه المجتمع السوداني .. واستطاع ان يعطينا - من خلال هذه الحوادث - صورة واضحة عن المجتمع في تلك الفترة ، بجده ولهوه ، غثا وسمينا ..

وقد راينا ان نورد هنا اهم ما جاء في هذه المحاضرة القيمة :

« عندما دعيت للقاء هذه الكلمة طافت بلهني مواضيع كثيرة ، وحررت ايها اختار للحديث . ثم تذكرت ان الكلمة في الواقع موجه لابنائنا الطلبة وان علي ان اختار مايناسبهم ، فلم اجد خيرا من ان ارسل لنفسي على سجيته فانحدث اليهم في غير عمل عن ذكريات عن تلمذتنا ،

في انتاجهم عن ثقافة وجهد وصنعة وقيم فنية ودعوة الى اخلاق جديدة . انهم يحتلون صف الصدام الاول في معركة الجيل من اجل حرية اجتماعية ، من اجل حرية الفرد من قيود مجتمعة ، ففي كتاباتهم تحلل من التابو المفروض على الجنس ، وفي كتاباتهم تظهر من اقدار المفهومات الرجعية عن الانسان والدينا الفانية . انهم يكونون جيلا يحب الحياة ؟ جيل طليعة يدع ادبا جديدا في سبيل انسان جديد . ان النكسات التي منيت بها كل الانتفاضات الثورية في العالم العربي تعود الى سوء صنع الانسان العربي . ان بناء الداخلي مخرب متهافت متناقض ، يحوي في صميمه بذور الخيبة . فما قيمة الحرية السياسية لانسان مستعبد من داخله ؟ ماقيمة الحرية الاجتماعية اذا كان الفرد لا يستطيع ان يتحرر من عبودية الكبت ومن عبودية المحافظة على كل سيئات العصور القديمة والجديدة . ان معركة الادباء الطليعيين هي معركة تربية جديدة ، ومجالهم هو في الكفاح ضد المجتمع وضد الانسان الحالي .

بقيت فئة الصحافيين المتأدبين ؟ وهؤلاء فئة خطيرة بمالها من اتصال يومي بالقراء على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم . ومن المؤسف ان الصحافة عندنا ليست بمستوى يليق بالاديب ان ينشر فيه رسالته . وللصحافيين خطر اكبر بسبب علاقتهم بالادباء الناشئين الذين يبحثون عن منفذ يصلون منه الى القراء ، فلا يجدون الا الصحف اليومية لينشروا فيها انتاجهم، وبالطبع يظهر الصحافي امام البندوي بمظهر الاستاذ الكبير والذوافة الرصين . واذا عرفنا ان في الاقليم الشمالي كله لا توجد الا مجلة شهرية واحدة هي مجلة « الثقافة » ، واذا تذكرنا بان كل جريدة تصدر صفحة ادبية اسبوعية . استطعنا ان نقدر مدى التأثير الذي يمارسه هؤلاء الصحافيون المتأدبون على ذوق القارئ وعلى مستقبل الاديب الناشيء . ومن المؤسف ان اكثرهم ليسوا بمستوى مهمتهم .

ولكي اوضح الفرق بين الفئة الجديدة من الادباء الطالعين ، وبين البقية ينبغي ان نذكر باستمرار ان الادب نوع من الانطواء على النفس . من الحياة ضمن منولوج داخلي يصهر الاحداث والتجارب والافكار في كل ذاتي له خصائص الشخصية الادبية ، وله مميزات الاديب كفرد .. كإنسان يعيش في هذا العصر من حياة العالم ، ويستكشف محتوياته ويعطيها معناها الذي يراه ويستنتجه . ومن هنا كانت ضرورة وصول الاديب الى الحد الاقصى من الحالات . ان الاديب الذي يصدر في كتاباته عن العماناة هو الذي يقذف بنفسه الى الحد الاقصى في زحمة الحياة والمجتمع والحوادث .. ينظر الى كل ذلك من زاويته الشخصية ثم تكون لديه القدرة على التأمل واعطاء معنى وتبني موقف . ان فريق الادباء الجديدين يحاولون ان يستنتجوا معنى ، ويحاولوا ان يتبنوا موقفا ؟ اما اخواننا الصحافيون فانهم يكتبون .. يكتبون دون ابتغاء التعبير عن أزمة او عن عرض لحل أزمة . وربما كانوا يكتبون طلبا للشهرة ، لعرض الذات ، لتحسين وضعهم الاجتماعي ، لرفع دخلهم .. لكن هذه العوامل لاتدخل كثيرا في حساب المستوى الادبي .. ومن المؤسف ان يرفع هؤلاء الناس اصواتهم باسم « الادباء الشباب » ! انهم يكتبون تحت هذا الشعار ، ويتجولون في الاوساط الاجتماعية يفرضون قصصهم في محاضرات تلقى على الجمهور ! ومن الامور التي تثير الاسى انهم لا يقبلون اي نقد . انهم يتطلعون من الادباء الباقين ان يتسامنوا معهم مادام الجميع « شبانا » بعون الله ! وقد نشأ اصطلاح « الادباء الشباب » تحت ضغط الاطلاعية الفكرية التي مارسها ادباء الصالونات ودكاترة الادب .. فقد امتص هؤلاء بحكم وطلائعهم الكبيرة ، كل مجالات المنافع الادبية ، وانكروا بنفس الوقت امكانيات جيل كامل بكل ما فيه من مواهب وجهود ، وكان رد فعل هذا الجيل انكارا مقابلا لامكانيات الجيل الماضي وطرحا لشعار الادباء الشباب . ولكن ما ان بدأ هذا الجيل يفرض نفسه ويحتل بعض الراوتر حتى انقسم بفعل تفاوت المواهب والثقافة والفئات التي يسعى

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

ووطنية . والمرحوم عرفات محمد عبد الله احد قادة ثورة عام ١٩٢٤ وكان ممثل جمعية اللواء الابيض في مصر بعد ان هرب اليها خوفا من بطش الانجليز به كما فعلوا باخوانه اعضاء هذه الجمعية . ثم عاد بعد لاي في الثلاثينيات موظفا في شركة ثم اسس فيما بعد مجلة الفجر . .

والجمعية الاخرى كانت في « ابي روف » ومن بين اعضائها السادة عبد الله ميرغني واسماعيل العتباتي « رئيس تحرير جريدة الرأي العام » ودكتور ابو شمه والمرحوم حسن عثمان النور و ابراهيم يوسف سليمان ، والهادي ابو بكر وخضر حمد وآخرون . .

وفي هذا الطور برز اتجاه اخر في صفوف المعلمين وهو تنمية الصداقة الفكرية بينهم ، فكانوا يحرصون على التعارف وتبادل الرسائل الادبية الثقافية . ولم يكن غريبا ان يسلم احدهم رسالة من زميل ليعرفه الا بالاسم ، ومن بعد ينشد صداقته والتعرف اليه عن طريق الكتابة .

وعندما انتشرت فكرة الاندية ، انتقل هذا النشاط الثقافي الذي كان مقره المنازل باسم جمعيات القراءة ، الى دور الاندية باسم الجمعيات الادبية . وكان من النادر جدا ان يوجد نادٍ مهما كان عدد المعلمين فيه ولا يضم جمعية ادبية تزاوُل نشاطها في القراءة والدرس والقاء المحاضرات الادبية ، واقامة المناظرات . . كل هذا في حدود المواضيع الثقافية ، اذ كان الكلام في السياسة محرما التصدي لمناقشة الافكار الوطنية ممنوعا - سنة السنعمين حيثما كانوا . .

كان المعلمون قلة ، ولهذا كانوا يحسون بمدى المسؤولية الوطنية الملقاة على عواتقهم ، ويدركون معنى الواجب الذي يجب ان يؤديه في تلك الفترة من نشر الوعي بين سائر طبقات الشعب .

ويجدر بي هنا ان اقف عند احدي هذه الجمعيات الادبية التي كانت من اوضح مظاهر الحياة الاجتماعية في الثلاثينيات ، وما كسبته البلاد من هذا النشاط . .

في عام ١٩٢٤ كنت اعمل في مدرسة مدني الدولية وارتاب مثل غيري من الموظفين نادي الخريجين بمدني ، وسرعان ما تقدم بعض الموظفين من الخريجين بتكوين جمعية ادبية . .

ووجد الاقتراح قبولا وقامت الجمعية وكان اول سكرتير لها الاستاذ اسماعيل العتباتي صاحب جريدة الرأي العام ، وكان يعمل آنذاك محاسبا في مصلحة الزراعة بمدني . . واخذنا نجتمع في غرفة المكتبة بعد ان نقل علينا ثم ناقش مانريد نقاشه من كتب او مواضيع ادبية ثقافية ، وبجانب هذا كنا نتدرب على الخطابة . . فقد كان يحلو لبعضنا ان نخيل انه يخطب في الاوف من المواطنين الثائرين ، ونحاول ان نزيد حماسهم اشتعالا . . اذكر هذا وقد شاءت المقادير ان يتحقق الخيال . . فقصدهت وسمعت اعضاء تلك الجمعية يخطبون في جماهير الشعب حقيقة لا خيالا ويقودونهم لمركة الحرية ضد الاستعمار . . فقد كان من ذلك النفر الكريم من اعضاء الجمعية وقواد الثورة الوطنية اخيرا احمد خير « وزير الخارجية » واحمد مختار « سفيرنا بالجمهورية العربية المتحدة » وحمامد توفيق « وزير سابق ومدير البنك الزراعي حاليا » .

وفي عام ١٩٣٦ وقعت الاتفاقية المصرية الانجليزية المعروفة بعد ان انتقلت كل صلات مصر بالسودان عقب حوادث ١٩٢٤ وقد جاء فسي اول نصوص هذه الاتفاقية ان تعطى الاولوية في الوظائف للسودانيين فاذا لم يوجد بينهم من يصلح للوظيفة اختير لها من احدي الدولتين . . واجتمع اعضاء الجمعية الادبية بمدني ليتدارسوا موقف التعليم بعد هذه المعاهدة ، وكيف يمكنهم ان يستفيدوا من هذا النص فيسيطروا على المناصب ذات الاهمية في الدولة ، وهم مبعدون عنها . واكثر يشغلهم سوداني في الادارة هو منصب الامور . .

والعقبات التي اجتاها جيلنا والمهام التي اضطلع بها ، على قلة الزاد ووعورة الطريق . وان كنت في كتابي قد صورت ملامح من جيل العشرينيات وهو الجيل الذي تلمذنا عليه ، واخذنا بعض اساليبه ، فان اكثر كلمة اليوم تشخص ملامح من جيل الثلاثينيات في غير تفصيل او تعمل كما كرت .

## ذكريات كلية غردون

ولا بد ان تكون نقطة الابتداء كلية غردون ذات الذكريات الحبيبة الى نفوس ابناء جيلنا خاصة وكلية غردون لم تكن تعني اكثر من مدرسة ثانوية رغم ضخامة الاسم ، ويضم بجانب القسم الثانوي مدرسة المعلمين والقضاء الشرعي ، وقسما صناعيا ابتدائيا ، ومدرسة العرفاء التي تخرج معلمي المدارس الاولى . .

كانت حياة الطلبة فيها جافة قاسية ، كنا بداخلياتنا عام ١٩٢٨ ونحن نتطلع للمعرفة والثقافة ، واذا بنا نجد الكلية تحارب المعرفة والثقافة ، واول مظاهر هذه المحاربة ان كان محرما على الطلبة ان يقرأوا المجلات والصحف المصرية ، ولم تكن هناك صحف سودانية غير واحدة هسي « حضارة السودان » فاذا ضبط طالب وفي حوزته مجلة ثقافية مصرية او سياسية عوقب عقابا شديدا . . ومن مظاهر محاربة المعرفة - الا في الحدود التي رسمها المستعمرون - ان كانت في الكلية مكتبة كبيرة تضم العديد من الكتب العربية والانجليزية ولكنها كانت مغلقة امام الطلبة ، يجتمعون فيها ولا ينتفعون منها ! .

واذكر ان عاد الاستاذ عبيد عبد النور من البعثة التي كان فيها مع بعض زملائه المدرسين في بيروت - عاد ليشغل وظيفة مدرس في الكلية وفي ذهنه افكار كثيرة جيدة كان يود ادخالها في الكلية . . وقوى من صلاته بالطلبة فتوسلوا اليه ان يعمل على فتح مكتبة لهم . ونجح بعد جهد لكي يخصص امسية يوم واحد في الاسبوع ، وكان مساء الاربعة . لكي ينتفع طلبة الفصول النهائية من اقسام الكلية بالمكتبة . اي طلبة السنة الرابعة للكلية والخامسة قضاة والثالثة للعرفاء على ان يقضى بقية الطلبة عنها ، وبهذه المناسبة فقد ادخل الاستاذ عبيد عبد النور لأول مرة لعبة كرة السلة « باسكيت بول » جاء بها من جامعة بيروت عام ١٩٢٨ ولم تكن معروفة لدينا من قبل . .

وكان لابد لنا ان نتحرر من هذا الحصار وهذا الضغط وان نجسحت عن مجال اوسع وارحب للتعليم . . فهرب قلة من الطلبة الى مصر لينالوا المزيد من العلم والثقافة . . وكان السفر لمصر جريمة منكرة ، وقد اتخذ الطلبة وسائل عديدة للتكر حتى لا يقبض عليهم في الطريق وينالهم تنكيل السلطات الانجليزية . . كان بعضهم يخفي مع رعاة الماشية المصدرة لمصر ، فيظهر كانه احدهم الى غير ذلك من الوسائل التي يعرفها ويذكرها الكثير من المدرسين ويستوعب تفاصيلها . .

كان هذا الحرمان القاسي من الاستزادة من المعرفة والعلم دافعا قويا لذلك الجيل لكي يعمل لسد هذا النقص ، فكان ان ظهرت في مجتمع المثقفين جمعيات القراءة في المنازل وكانت جمعيات القراءة هذه تضم المجموعات المتجانسة من ابناء الحي ، فيجتمعون كل في مواقيت محددة في دار احدهم ويدور البحث والنقاش الذي خصص للبحث بعد ان يكونوا قد وكلوا لاحدهم دراسته وعرضه . . وكانوا يستعرضون اكثر من كتاب في الاجتماع الواحد .

وقد بدأت هذه الجمعيات في امدرمان اولا ثم انتقلت منها الى المدن الاخرى حيثما كانت توجد مجموعة من الخريجين . .

وقد اشتهرت في امدرمان جمعيتان احدهما جمعية يحيى « الهاشماب » ومن اعضائها البارزين انذاك السادة محمد احمد محبوب « وزير الخارجية السابق - محام » والدكتور عبد الحليم محمد والاخوان محمد وعبد الله عسرى الصديق ، وقد كانوا من المع شباب ذلك الجيل ثقافة وحيوية

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

.. وزاد عددنا في الحال . وكان الانجليز يهدفون من تشجيعهم وتأييدهم للمؤتمر خوفهم من ان ينصهر السودانيون وراء شعارات الحركة الوطنية المصرية ..

ولكن المؤتمر وان تعثر بمض الشيء عند بدايته ، فانه اتخذ فيما بعد طريقه الوطني الثوري ، فما هي الوسائل التي ابتكرها المؤتمر ليربطوا الشعب بهذه المؤسسة الوطنية ؟

مرة اخرى من خلال اجتماعات الجمعية الادبية بمدني خرج صوت ينادي اولاً بالمهرجان الادبي ثم بيوم التعليم ، ثم بيوم السودان الرياضي .. واقيم اول مهرجان ادبي في مدني على شرف الجمعية الادبية .. ودعوا له الشعراء والادباء والباحثين .

وكان برنامج المهرجان يفيض بالبحوث الجادة والشعر الوطني الملتهب بجانب اللوحات الفنية وبعض التماثيل .. واذكر قصة طريقة حدثت لي: كنت قد اعددت بحثاً يمثل جانباً من الفلسفة الاسلامية واخذت المعتزلة لاجبابي بتقديرهم للعقل ، وقد كنا لا ندرى طبيعة المستمعين لتلك البحوث .. والمستمعون اكثرهم من عامة الشعب ، فما كنت اسير فيه ليضع دقائق حتى تسلسل المجتمعون من السرادق ، حتى لم يسبق فيه غير قلة مؤمنة صابرة اسندت امرها لله واستتمعت لي حتى النهاية . ولما انتهيت .. اسرعت الى صديقي عثمانى وقلت له ساحمل لقب انقل متحدث ، فضحك وقال لي صبراً .. وجاء دور البحوث الاقتصادية واعلمني المنصة السيد حماد توفيق ، وكان معنياً بالدراسات الاقتصادية فما زال بالناس من رقم الى رقم ومن احصائية الى اخرى حتى اجلاهم من السرادق وانا اصفق له مستزبداً .

اما يوم التعليم فقد كان مفخرة من مفاخر المؤتمر ولا تسالوا عن التجارب العظيم الذي فاق حد التصور ، ولن تمنحي من قلبي اطلاقاً . تلك الصور .. اذكر عندما قرر المؤتمر القيام باول طواف على الشعب لجمع التبرعات ليوم التعليم ، وقد قسمنا سوق امدرمان الى مناطق ، وخصصت لكل جماعة من اعضاء المؤتمر منطقة .. وفي تلك الاذقة شبه المهجورة وكان يتقدمنا ثلاثة من اخواننا ، واسير انا والمرحوم الاستاذ عفان وفي ايدنا صندوق التبرعات .. اذ رأيت الذين سبقوني ينظرون الى داخل دكان اشبه بالفجوة ثم يسرعون بالخطى دون ان يلجوه .. واقتربت انا وعفان فراينا شيخاً هرمًا ، وضع على عينيه نظارة سمبكية ينظر الينا من خلالها متسائلاً .. كان يجلس على « برش » قديم وامامه سندانه ويقوم بصنع خاتم صغير .. وكل ما حوله ينطق بالقر .. وفدنا ان زملائنا تعاشوه ولم نرد نحن ان ننحاشاه ، فدخلنا عليه وسلمنا ، ففشي في وجوهنا وحدثنا عن مهمتنا ، وقلنا له اننا نقبل قرشاً واحداً للتبرع .. وما كاد يستوعب حديثنا حتى اسرع الى « البرش » ورفع جانباً منه ليجد حفرة صغيرة كان يضع فيها ما يحصل عليه من رزق ، وفي سرعة اخذه كله وسلمه الينا وهو يعتذر ، وقد تائر عفان حتى سالت دموعه ..

ويجئ الاستاذ نجيله الى نهاية المحاضرة الوطنية التي حكى فيها فترة تاريخية للادب السوداني والدور الوطني الذي لعبه المثقفون في تحرير البلاد .. وانتهت المحاضرة بهذه العبارة التي توجه بها الاديب الى ابنائه الطلبة :

« ... وها أنا وغيري نحدثكم عن وطنكم وبلادكم ، وعن تجارب من سبقوكم للعمل ، ثم نذهب كلنا امثين فلا مستعمر يطردنا ، او بوصد باب المعرفة في وجوهنا .. واذا كان الجيل الذي سبقكم استطاع ان يصل بنا الى الاستقلال الكامل في تلك الاجواء الرهيبة والحرمان الناسي فما احراكم ان تبونا سودانا جديداً قويا مرهوب الجانب .. فهذا هو دوركم الذي ترجوه منكم البلاد .. دور البناء والتعمير سلاحكم فسي هذا علم واسع عزيز ، وخلق قويم وفير .. »

واقترحت الجمعية على الاستاذ احمد خير ان يلقي بحثاً عن واجب الخريجين بعد المعاهدة . ومن الخرطوم كتب للجمعية الاستاذ احمد يوسف هاشم وكان يرأس تحرير جريدة النيل - وهي اول جريدة يومية سودانية تبانه قادم لزيارة الجزيرة (مدني) ويود الاجتماع باعضاء الجمعية .. واقيم له حفل بالنادي ، وتقرر ان يلقي احمد خير بحثه في ذلك الحفل .. ونادى في ذلك البحث بوجود اجتماع الخريجين في منظمة واحدة تجمع شملهم ، وتوحد كلمتهم ليوافقوا مسئولياتهم الجديدة بعد المعاهدة ونادى بقيام مؤتمر للخريجين ..

وعاد المرحوم احمد يوسف هاشم الى الخرطوم لينشر كلمة احمد خير على صفحات النيل ومجلة الفجر التي كان يصدرها المرحوم عرفات وتولى امرها بعد وفاته احمد يوسف هاشم ومحمد احمد الحجاب يوسف التني .

ولم تلق الفكرة قبولا في بدايتها من كل طبقات خريجي العاصمة الثلاثة ( الخرطوم - امدرمان - الخرطوم بحري ) وعلى وجه خاص عارضتها لجنة نادي الخريجين بامدرمان . وقد خاف خريجو النادي ان يفلت قيام المؤتمر القيادة من ايديهم ، وقام حفنة من شباب العاصمة، ومن ورائهم اعضاء الجمعية الادبية بمدني بالحملة لنجاح الفكرة وبراؤها الى حيز الوجود ..

واستطاع المؤتمر ان يقوم وان يعقد اجتماعه الاول متخيراً له عيئد الاضحي ليستمد منه وحي الغذاء والتضحية في سبيل الوطن .. وقيام نادي الخريجين انتقل النشاط السياسي السري الى شيء من العلانية والوضوح واخذت الافكار السياسية تتباور شيئاً فشيئاً عن طريق هذه المنظمة ..

وقد كان المهندس الشاعر على نور صادقا كل الصدق وهو يحيي المؤتمر في اول اجتماعه بقصيدة مطلعها :

الله اكبر هذا الروح امرفه

اذا تذكرت ايامي ويعرفني

كنا نتميه سرا في جوانحنا

حتى استحبال الى الاجهار والعلن

وهنا بدر سؤال لا بد من الاجابة عليه وهو :

ما هو موقف الانجليز من المؤتمر ، وكيف ارتضوا له ان يبرز رغم حرصهم البالغ على واد الحركات الوطنية في مهبها ؟؟

قبيل معاهدة عام ١٩٣٦ ونحن في جمعيتنا الادبية بمدني قبل قيام المؤتمر فوجئنا برسالة خاصة من مدير مديرية النيل الازرق يقول فيها ان الستر سايمز Mr. Sayms حاكم السودان العام يرغب في زيارة الجمعية وقضاء امسية يستمع فيها للاعضاء ، فما كان في وسع الجمعية ان ترفض زيارة الحاكم العام . وجاء سايمز في غير جلية ، وبمظهر عادي وجلس مع اعضاء الجمعية داخل غرفة المكتبة واستمع اليهم يتحدثون ، وقد اعدوا كلمات قصيدة باللغة الانجليزية اشاروا في بعضها الى مستقبل السودانيين في ادارة شؤون بلادهم . ولم يقل الرجل شيئاً واضحاً ، ولكنه ابدى سروره من هذا النشاط الثقافي ونمى ايضا ان يتماسك المتعلمون ويرتبطوا .

وقام المؤتمر بعد ذلك وسائيمز مازال حاكماً عاماً ، وكنت في شندي ونحن نستعد - قلة من الموظفين - لحضور اول اجتماع للمؤتمر وكان بعض كبار الموظفين وجلبن من هذه الحركة يخشون ان تتطرف فسي وطنيتها .. وهم ما زالوا يذكرون صحاياً عام ١٩٢٤ .

قبيل سفرنا من شندي لحضور المؤتمر حضر مدير المديرية المستر برفكس وجلس الينا في النادي وتسلط عن الذين سيلهبون لحضور المؤتمر ووجدنا قلة يسيرة ، واذا بالرجل يفاجئ الاخرين الذين اظهروا عدم الرضا بان المؤتمر عمل مجيد ، وان واجبه ان يؤيدوه ويذهبوا اليه